مصادر الفصح اليهوديّ

القسّ عيسى دياب*

المقدّمة

الفصح من أهمّ الأعياد اليهوديّة، بل ربّما الأهمّ. وبحسب النصوص التأسيسيّة لهذا العيد في سفر الخروج، هو السياق التاريخيّ لحدث "الخروج" وتكوّن "الشعب" الإسرائيليّ ودخوله في عهد مع الله (يهوه). لقد حظي هذا العيد بقسط وافر من اهتمام العلماء المتخصّصين في الدراسات البيبليّة، أو الدراسات الساميّة، أو الدراسات اليهوديّة.

إذا تكلّمنا بالمنهجيّة التاريخيّة، أصبح من المتّفق عليه بين الدارسين أنّ عددًا كبيرًا من عناصر الديانة الإسرائيليّة القديمة أتت نتيجة عمليّة توفيقيّة بين نظريات دينيّة جديدة على خلفيّة ديانات سابقة في المنطقة نفسها؛ أو نتيجة إعادة قراءة لتراث دينيّ قديم كان منتشرًا بين الشعوب الساميّة التي سكنت الشرق الأدنى القديم، على ضوء خبرة العبرانيّين الدينيّة. وإذا سلّمنا بهذه النظريّة وأخذناها بعين الاعتبار في دراستنا للفصح اليهوديّ، خاصّة في البحث من مصادره، لا بدّ من إيجادها (المصادر) في التراث الدينيّ لشعوب الشرق الأدنى القديم.

يتركّز اهتمامنا، في هذه الدراسة، على مصادر الفصح اليهوديّ. نستعرض بداية النظريات العلميّة المعروفة، ثمّ نعمد إلى تحليل نصّ سفر الخروج المتعلّق بتأسيس عيد الفصح، وننطلق منه إلى البحث عن مصادر المكوّنات الرئيسة لهذا العيد.

أوّلاً: النظريات العلميّة المتعلّقة بـ"مصادر الفصح اليهوديّ"

تقدّم لنا الدراسات الأكاديميّة العلميّة (غير الإيديولوجية) عددًا من النظريات

* القسّ عيسى دياب من الكنيسة الإنجيليّة المصلحة، يحمل شهادات دكتوراه في اللاهوت، وفي "تاريخ الحضارات الساميّة"، وفي "ثقافات ومجتمعات العالم العربيّ والإسلام"، و"العلوم الدينيّة، الفيلولوجيّا البيبليّة". مستشار ترجمة لغات قديمة في اتحاد جمعيّات الكتاب المقدّس، ويُدرّس في عدد من الجامعات.

المتعلّقة بمصادر الفصح. ومن أجل تسهيل الأمر على القارئ، نجمع هذه النظريّات بنظريّتين رئيستين:

١ . باعتبار "الفصح" عيدًا معروفًا عند الشعوب التي عاشت حياة البداوة في الشرق الأدنى القديم، تتمّ دراسة مصادره بمقارنة المجتمع البدويّ لما قبل الإسلام بالمجتمع العبرانيّ كما هو في التوراة، والبحث عن قواسم مشتركة، بما فيها طقوس الفصح. وأهمّ من اتّبع هذه المقاربة العالم البريطانيّ وليم روبرتسون سميث (William Rebertson Smith) في كتابه **محاضرات في ديانة الساميّين**، الذي نشره عام ١٨٨٩[1].

باعتبار "الفصح" عيدًا إسرائيليًّا قديمًا، تتمّ دراسة الموضوع بقراءة النقوش المكتشفة التي تعود إلى بعض الشعوب السامية، مثل الأموريّين والفينيقيّين الكنعانيّين والبحث فيها عن ممارسات دينيّة شبيهة بطقوس الفصح.

حتّى السبعينيّات من القرن الماضي، كانت النظريّات المتعلّقة بمصادر الفصح، التي تحظى بقبول العدد الأكبر من الدارسين الذين يستخدمون علوم النقد التاريخيّ، هي أنّ مصادر الفصح نجدها في التراث الدينيّ للمجتمع البدويّ القديم في الشرق الأدنى. ومن أجل التوصّل إلى هذه المصادر، كان يُصار إلى مقارنة طقوس الفصح بذبيحة كانت تمارسها الشعوب البدويّة في بداية الربيع، نهاية موسم الأمطار، عند إخراج الطرش من الحظائر، إذ كانوا يأخذون واحدًا من حيوانات القطيع ويقدمونه ذبيحة ويرشّون دمه على القطيع ظنًا منهم أنّ هذا الدم سيحفظ ("يُكفّر") القطيع كلّه من مخاطر الصحراء حيث المراعي الربيعيّة، وحيث مأوى الأرواح الشريرة.

لكن، لهذه النظرية نقطتا ضعف على الأقلّ:

لا يوجد رابط تاريخيّ بين العبرانيّين القدماء والمجتمع البدويّ لما قبل الإسلام الذي أجريت عليه هذه الدراسات؛ أضف إلى ذلك، الحقبة الزمنيّة التي تفصل بين التراثين كبيرة جدًّا.

بقراءتنا للنصوص البيبليّة نجد أنّ الفصح جاء في سياق حدثين آخرين مهمّين: قتل الأبكار، وعيد الفطير. لكن بدراستنا للمجتمع البدويّ لما قبل الإسلام، حتّى وإن

1 William Robertson Smith, *Lectures in the Religion of the Semites*, published in 1889, New edition edited by John Day, Sheffield (England): Sheffield Academic Press, 1995.

وقعنا على أثر لممارسة تقديم ذبيحة الأبكار، فلا علاقة لهذا بالذبيحة الربيعيّة الآنفة الذكر. و لم نحظَ على أثر لأكل الفطير حتّى اليوم.

لكنّ ألواح الكتابات المسماريّة التي اكتُشفت في إيمار (تلّ مسكنة، محافظة حلب) على الشاطئ الغربيّ من الفرات على مرحلتين، ١٩٧٢–١٩٧٦ و١٩٩٢–١٩٩٦، والتي دُرست ونشرت، دفعت الدارسين إلى تغيير اتجاه الدراسات المتعلّقة بالفصح وبغيره من طقوس الديانة الإسرائيليّة القديمة. لقد كشفت هذه الكتابات المسماريّة عن كثير من التفاصيل المتعلّقة بالديانة الأموريّة.

وإيمار مذكورة في ألواح ماري وألواح إيبلا (تلّ عطشانة). وكانت هذه المدن الممالك، بالإضافة إلى كركميش (جرابلس)، تكوّن معًا حلفًا سياسيًّا واقتصاديًّا، وتتشارك في التراث الثقافيّ والدينيّ، وتمثّل مصدر التراث الأموريّ.

والأموريّون هم أحد الشعوب الساميّة التي تواجدت في الشرق الأدنى القديم، وسكنت المنطقة المسمّاة "كنعان" في الفترة التي بدأ معها التراث الدينيّ الإسرائيليّ القديم بالتشكّل، وهم بين الشعوب الذين وصفتهم التوراة على أنّهم سكّان كنعان القدماء "الذين طردهم الربّ من أمام بني إسرائيل".

تعود نصوص إيمار إلى الفترة الممتدّة من القرن الرابع عشر وحتّى سنة ١١٨٧ ق. م. عندما سقطت المدينة و لم تُبنَ في ما بعد. والاحتفال الدينيّ الأكبر في إيمار هو الـ"ذوكرو" (الذكر) والذي كان يُقام في رأس السنة، في الربيع، في ليلة ١٤/١٥ من الشهر، يكون فيها القمر مكتملاً[٢].

نتّخذ من نصّ الفصح في سفر الخروج منطلقًا لمقارنتنا، لكن نلجأ، في بعض الأحيان، إلى النصوص البيبليّة الأخرى التي تتكلّم عن الفصح.

كلمة حول معنى كلمة "فصح". الكلمة المستخدمة في اللغة العربيّة "فصح" هي تعريب لكلمة "פֶּסַח" (بساح)، واستُخدمت لأوّل مرّة في خر ١٢: ١١. ومعنى الكلمة الشائع هو "عبور"، والعدد الأكبر من القواميس المتخصّصة يركّز على هذا المعنى.

2 Kathryn Qanna Yahu, "Origins of Pesach", in HYPERLINK "http://www.lebtahor.com/Observe/origins/origins%20of%20pesach%20passover.htm" retrieved December 22, 2016.

ثانيًا: تحليل النصوص البيبليّة التي تتكلّم عن الفصح[٣]

١/٢. تحليل نصّ الفصح في سفر الخروج

بقراءة متأنّية للنصّ البيبليّ المؤسّس (خر ١١ – ١٢)، نرى أنّ خبر الفصح مُلحق بخبر "الضربة العاشرة"، قتل الأبكار، وتَعاقُبُ أحداث هذا الخبر الأخير تختلف عن تَعاقُبِ أحداث أخبار الضربات التسع؛ فبينما في الضربات التسع يبدأ الخبر بيهوه يطلب من موسى التوجّه إلى فرعون لتهديده بالضربة، ومن ثمّ تحدث الضربة. أمّا في الضربة العاشرة، فنرى يهوه يوجه موسى نحو بني إسرائيل (١١: ١) لإطلاعهم على ضربة قتل الأبكار دون أن يسمّيها ويطلب منهم التحضُّر للخروج من مصر، و"أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ ٱمْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ" (١١: ٢). ثمّ في خر ١١: ٤ يبدأ موسى بتوجيه كلامه إلى فرعون دون إشارة إلى ذلك، ولا نعرف ذلك إلاّ في ١١: ٨ب: "ثُمَّ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ فِي حُمُوِّ ٱلْغَضَبِ" ثم في آ ٩–١٠، يعود الربّ ويكلّم موسى وهرون، فيعلّمهما بأنّ فرعون لن يرضخ لتهديدهما. وحيث يجب أن يبدأ الكلام عن الضربة العاشرة في ١٢: ١، يوجّه موسى وهرون الكلام إلى بني إسرائيل من جديد ليعطيهم كلّ التفاصيل المتعلّقة بتأسيس الفصح.

– في خر ١٢: ١–١١ يُعطي موسى بني إسرائيل كلّ التفاصيل المتعلّقة بذبيحة ما وبموعد تقديمها وطريقة تقديمها، فيتكلّم عن "تقويم جديد"، فيقول: "هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور (١٢: ٢)، ولا نعرف أنّ الشهر هو أبيب إلاّ في ١٣: ٤ ومن صيغ فصحيّة أخرى (أنظر تث ١٦: ١).

– ثمّ في آ ٣–١١ يتكلّم عن تفاصيل هذه الذبيحة:

"[٣]فِي ٱلْعَاشِرِ مِنْ هَذَا ٱلشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ ٱلآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ. [٤]وَإِنْ كَانَ ٱلْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْوًا لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ ٱلْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ ٱلنُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسُبُونَ لِلشَّاةِ. [٥]تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ٱبْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ ٱلْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ ٱلْمَوَاعِزِ. [٦]وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ ٱلْحِفْظِ إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ هَذَا ٱلشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْعَشِيَّةِ. [٧]وَيَأْخُذُونَ مِنَ ٱلدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى ٱلْقَائِمَتَيْنِ وَٱلْعَتَبَةِ

٣ النصوص البيبليّة هي بحسب ترجمة سميث – فاندايك – البستاني، ما لم يُشَر إلى خلافه.

ٱلْعُلْيَا فِي ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. ٨وَيَأْكُلُونَ ٱللَّحْمَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ مَشْوِيًّا بِٱلنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ. عَلَى أَعْشَابٍ مُرَّةٍ يَأْكُلُونَهُ. ٩لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ نِيئًا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوخًا بِٱلْمَاءِ، بَلْ مَشْوِيًّا بِٱلنَّارِ. رَأْسَهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ. ١٠وَلَا تُبْقُوا مِنْهُ إِلَى ٱلصَّبَاحِ. وَٱلْبَاقِي مِنْهُ إِلَى ٱلصَّبَاحِ، تُحْرِقُونَهُ بِٱلنَّارِ. ١١وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ: أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ، وَأَحْذِيَتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ، وَعِصِيُّكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ."

وينهي هذه الفقرة بالقول: " هُوَ فِصْحٌ لِلرَّبِّ." هنا فقط نعرف أنّ الكلام هو عن ذبيحة الفصح.

ثم في ١٢: ١٢–١٤ يتكلّم موسى عن قتل الأبكار، وكيفيّة فداء أبكار بني إسرائيل.

ثم في ١٢: ١٥–٢٠ يتكلّم عن عيد الفطير دون أيّ ذكر للفصح.

في ١٢: ٢١–٢٥، صيغة مكرّرة ومختصرة لذبيحة الفصح آتية من تقليد مختلف.

١٢: ٢٦–٢٧، إقحام متأخّر: "حين تدخلون الأرض..."؛ يُسمّي هذه الذبيحة "ذبيحة فصح للربّ" ويُعطيها معنى عبور الربّ عن بيوت بني إسرائيل.

آ ٢٨، إفادة الراوي بأنّ بني إسرائيل فعلوا كما أمر الربّ.

١٢: ٢٩–٣٠، تحقّق قتل الأبكار في مصر.

١٢: ٢٩–٣٣، فرعون والشعب يطلبون من بني إسرائيل ترك مصر.

١٢: ٣٤–٣٩، بنو إسرائيل يبدأون بالارتحال من مصر، وإسقاط معنى عيد الفطير في الرواية.

هذه القراءة التحليليّة للخبر، كما هو في خر ١١ و١٢، تقودنا إلى الاستنتاجات التالية:

١ . فداء الأبكار تدبير مستقلّ في الديانة الإسرائيليّة القديم، وعدد كبير من النصوص التوراتيّة تؤكّد هذا الأمر.

٢ . إنّ الذبيحة التي سمّاها المحرّر "فصحًا" هي بالحقيقة ذبيحة فداء الأبكار، وهو تدبير دينيّ مستقلّ في الديانة الإسرائيليّة، وهذا مثبت أيضًا في نصوص بيبليّة كثيرة وممارسة معروفة في عدد من ديانات الشرق الأدنى القديم.

٣ . في خر ١٣: ١، ١١–١٣ يُقحم المحرّر تقليد الأبكار في إطار الفصح؛ وفي

١٣: ١٤–١٦ يُسقط فداء الأبكار في إطار قصّة الخروج ويُعلّقها بقتل الأبكار في مصر.

٤ . عيد الفطير هو أيضًا احتفال دينيّ مستقلّ في الديانة الإسرائيليّة، وهذا مثبت أيضًا في نصوص بيبليّة كثيرة (خر ١٣: ٣–٧)، وممارسة معروفة في عدد من ديانات الشرق الأدنى القديم.

٥ . "الفصح" هنا وحيثما ذُكر في التوراة أو في العهد القديم متعلّق دائمًا بتقليد الخروج وأضفى عليه معنىً فدائيًّا. هو عيد موجود في عدد من التقاليد الدينيّة التي تعود إلى شعوب الشرق الأدنى القديم. وقد أعاد المحرّر قراءته على خلفيّة تقليد الخروج عند بني إسرائيل.

٦ . بعض التناقضات، مثل ١٣: ٢٢: "وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته"، و١٢: ٣١، موسى وهرون خرجا وذهبا إلى فرعون، يبدو أنّها ناجمة عن إقحامات متأخّرة في القصّة، أو دمج عدّة تقاليد للقصّة في رواية واحدة.

٧ . يبدو أنّ محرّر قصّة الخروج أتى بتقليد الأبكار وفدائهم، وتقليد الفصح، وبتقليد الفطير، ووضعها جميعًا في إطار تقليد الخروج بعد أن أعاد قراءتها.

ملاحظة أخيرة نحتاج أن نشير إليها هنا، هي أنّه في خر ١٢: ١٤ يُدعى الفصح "تذكارًا"، وفي خر ١٣: ٣، قال موسى للشعب: "أذكروا هذا اليوم ..."؛ ثم في ١٣: ٩ يوصي موسى بأن يكون الفصح "علامة في يدك وتذكارًا بين عينيك". نشدّد على الفعل "أذكروا" والكلمة المشتقّة منه "تذكار" لأنّنا سنشير إليها لاحقًا.

٢/٢. مقارنة بين النصوص الكتابيّة التي تتكلّم عن الفصح

يوجد في العهد القديم نصوص فصحيّة عدّة: خر ١٢ و١٣؛ تث ١٦: ١–٨؛ لا ٢٣: ٥–٨؛ عد ٩: ١–١٤؛ عد ٢٨: ١٦–٢٥؛ عد ٣٣: ٣؛ يش ٥: ١٠–١١؛ ٢ أخ ٣٥: ١–١٩، عز ٦: ١٩؛ حز ٤٥: ٢١. بمقارنة هذه النصوص بعضها مع بعضها الآخر، نقع على بعض الاختلافات في التفاصيل:

١ . في نصّ الخروج يأمر الربّ موسى باستبدال التقويم الزراعيّ بتقويم طقسيّ فيقول له: "هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أوّل شهور السنة" (١٢:

٢). في العاشر من الشهر، كان يجب على كلّ ربّ عائلة أن يأخذ الشاة ويستبقيها عنده حتّى اليوم الرابع عشر، وفي اليوم عينه في العشيّة (بين العشاءَين) يذبحها. ويجب أن ينتظر القارئ حتّى ١٣: ٤ ليعرف أنّ الشهر المقصود هو "أبيب". في نصّ التثنية، شهر أبيب هو شهر الفصح لكن دون تحديد اليوم (تث ١٦: ١).

٢ . في خر ١٢: ٣–٤ تجتمع العائلة، أو أكثر من عائلة، فيذبحون ذبيحة الفصح في البيت ويشوونه ويأكلونه في جو عائليّ؛ إنّه عيد عائليّ؛ أمّا في تث ١٦: ٢: "فتذبح الفصح للربّ إلهك...في المكان الذي يختاره الربّ ليُحلّ اسمه فيه"، أي في هيكل أورشليم. يؤكّد على هذا الأمر في تث ١٦: ٥–٧. وتتكرّر عبارة "في المكان الذي يختاره الربّ" ثلاث مرّات (آ ٢، ٥، ٧). ويأكل المحتفلون بالفصح الخروف في المكان نفسه حيث ذبحوه: "المكان الذي اختاره الربّ...".

٣ . بحسب خروج، ذبيحة الفصح من الخرفان أو الماعز، وبحسب تث ١٦: ٢، يمكن أن تكون غنمًا وبقرًا (أنظر ٢ أخ ٣٥: ١–٩). نشدّد على إضافة "البقر" لأنّنا سنعود إليها في المقارنات.

٤ . في خر ١٢: ٨ يُشوى خروف الفصح على النار ثمّ يؤكل مع فطير وأعشاب مرّة: "لا تأكلوا منها نيئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماء بل مشويًّا بالنار" (آ ٩). أمّا في نصّ التثنية فيُطبخ ويؤكل (تث ١٦: ٧).

٥ . بحسب عد ٩، تُقدّم ذبائح من البقر خلال الأيّام السبعة التي يُؤكل فيها الفطير.

إنّ هذه المقارنة والتوقّف عند الاختلافات يُجيزان لنا القول بأنّ ممارسة الفصح شهدت تطوّرًا ملحوظًا في تاريخ إسرائيل حتّى أنّه أصبح يوجد على الأقلّ ثلاث صيغ لعيد الفصح، الصيغة البدائيّة، وصيغة الهيكل الأوّل، وصيغة الهيكل الثاني. هذا ما دفع عددًا من العلماء إلى الاعتقاد أنّ بني إسرائيل بدأوا بالاحتفال بالفصح فقط عندما اكتشفوا "الشريعة" في الهيكل (سفر التثنية؟) في عصر الملك يوشيّا ومن ضمن الإصلاحات الدينيّة التي قام بها. ثمّ لاحقًا أُسقط هذا العيد في قصّة الخروج لكي يُصار إلى تبرير الاحتفال به في عهد يوشيّا كون هذا العيد كان العمود الفقريّ للإصلاحات اليوشيّاويّة.

كخلاصة لهذا القسم، نرى أنّ هذه الملاحظات تُسوّغ لنا القول بأنّ تقليد الخروج/الفصح الجديد، أي بعد دمج تقاليد الفصح والأبكار والفطير معًا، قد

خضع لأكثر من مراجعة، خاصّة عندما طُبّق في إطار هيكل أورشليم.

ثالثًا: احتفالات "الزوكرو" الأموريّ ومقارنتها بالفصح الإسرائيليّ–اليهوديّ

الفرضيّة التي نبني عليها أطروحتنا هي أنّ الفصح، كعدد كبير من طقوس العبادة الإسرائيليّة، أخذه بنو إسرائيل عن شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم التي عاشوا بينها، وبالأخصّ الأموريّين. فقرأوه من جديد، ووضعوه في سياق تاريخهم الموسوم بطابع لاهوتيّ. ولمّا تبنّوه، أجروا عليه تعديلات، فأزالوا منه كلّ السمات الوثنيّة وتعدّد الآلهة وطوّعوه ليناسب توحيدهم. وغرضنا، في بقيّة هذه المحاضرة، أن نلخّص دقائق بحثنا عن أصول الفصح الإسرائيليّ في حضارات الشرق الأدنى القديم.

ننطلق في بحثنا من كتابٍ لِـ أو. إي. جيمس (O. E. James) سنة ١٩٦٠، كتب فيه:

"كان هذا هو الحدث المؤثّر الذي كان يُحتفل به في مهرجان الربيع، والذي أصبح يُدعى "الفصح"، الذي يُحتفل به عند اكتمال القمر في الاعتدال الربيعيّ، عندما كانت بواكير الماشية، في موسم الولادات، تُقدَّم، بدون شكّ بدايةً إلى الإله المتخصّص بخصب القطعان، في سياق قمريّ. وعلى الرغم من أنّ أصول المهرجان وهدفه الأصليّ غامضة. الشيء الوحيد الذي يلوح في الأفق واضحًا من خلال ضبابيّة هذه التقاليد الغريبة"، كما يقول فريزر، "هو ذكرى مجزرة كبيرة من الأبكار" كون ميزتها البارزة الاحتفال السنويّ لليلة التاريخيّة حين كان ملاك الربّ يزعم أنّه مفوّض بالقيام بحملته الدامية ضدّ المصريّين. لكنّ الصياغات المختلفة للمهرجان أصبحت محمّلة بعدد من الأفكار المتأخّرة التي أُسقطت في سياق تقاليد الخروج، وأنّه ليست بأيّ حال من السهل الفصل بين الطبقات العديدة التي كانت خلف ظهور هذا التقليد المعقّد. ويوجد احتمال كبير بأنّ هذا المهرجان أسقط أوّلاً في سياق تقديم الأبكار، كما دلّت على ذلك الأوامر بذبح ذكر الضأن والماعز طفل أو بلا عيب في ١٤ من نيسان في افتتاح موسم الأمطار في فصل الربيع"[٤].

كتب جيمس هذا الكلام سنة ١٩٦٠، حين لم تكن قد بدأت الحفريّات التي أخذت مجراها في السبعينيّات، والتي كشفت عددًا لا يحصى من النصوص التي من

4 E.O. JAMES, *The Ancient Gods, The History and Diffusion of Religion in the Ancient Near East and the Eastern Mediterranean*, Originally published in 1960, Reprints 1999 (Phoenix Giant), 2004, Castel Books, pp. 148,149.

شأنها أن تُلقي كثيرًا من الضوء على التقاليد الكنعانيّة/الآموريّة.

إنّ عددًا كبيرًا من العناصر المكوّنة لتقليد الفصح الإسرائيليّ، واليهوديّ في ما بعد، نجد مثيلاً لها في الكتابات الأموريّة/الكنعانيّة القديمة والتي اكتشفت في السبعينيّات من القرن الماضي: زمن الفصح (الربيع الذي هو أوّل السنة في التقويم الأموريّ)، ذبيحة الأبكار وترتيب فدائهم في ما بعد بذبيحة حيوانيّة تعوضيّة، إله الأبكار والخصب عند الأموريّين/الكنعانيّين، عيد "ذوكرو" الأموريّ/الكنعانيّ وزمنه، الإله داغان، الذبيحة قبل المساء، الدم المرشوش على الأبواب وعلى القائمتين في مداخل البيوت، دمج الفصح وعيد الفطير في وقت لاحق.

يبدو أنّ هذه العناصر الدينيّة قد أخذها بنو إسرائيل عن الأموريّين/الكنعانيّين فأعادوا قراءتها ووضعوها في إطار قصّة الخروج وأعطوها معاني جديدة.

١/٣. العلاقة بين بني إسرائيل والأموريّين/الكنعانيّين

من المستغرب أنّ نبيّ السبي، حزقيّال، يُرجع أصول بني إسرائيل إلى الأموريّين والحثيّين: "هكذا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ" (حز ١٦: ٣). كُتبت هذه الكلمات بعد السبي، ويبدو أنّه كان يوجد تقليد قديم ومعروف بأنّ أرض كنعان كانت تُعرف بأرض الأموريّين قبل أن تأخذ تسمية "كنعان". في عهد شكيم يقول يشوع:

"وإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا ٱلرَّبَّ، فَٱخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ ٱلْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ: إِنْ كَانَ ٱلآلِهَةَ ٱلَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ فِي عَبْرِ ٱلنَّهْرِ، وإِنْ كَانَ آلِهَةَ ٱلأَمُورِيِّينَ ٱلَّذِينَ أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمِ" (يش ٢٤: ١٥).

نلاحظ أنّ يشوع دعا آلهة الأرض التي أتوا إليها "آلهة الأموريّين" ولم يأتِ على ذكر "الكنعانيّين".

الأموريّون والحثّيّون شعبان هما ضمن لائحة الشعوب الذين عاشوا في كنعان قبل ظهور بني إسرائيل فيها. ويسجّل لنا التاريخ أنّهما وقّعا معاهدة سنة ١٢٣٠°. أبو

5 J. G. Macqueen, *The Hittites And Their Contemporaries in Asia Minor* , first edition 1986, Revised and enlarged, Thames and Hudson, ISBN 1 0500278873 – 9780500278871, 996, p. 40.

الشعب العبرانيّ تقليديًّا هو إبراهيم، وأمّهم ساره؛ فإبراهيم أتى من حاران الآراميّة وجاء إلى كنعان "الأموريّة" وحطّ الرحال عند بلّوطات ممرا، كانت منطقة أموريّة يحكمها الأموريّ أخو أشكول وأخو عانر (تك ١٤: ١٣). يبدو أنّ حاران التي أتى منها إبراهيم كانت ضمن النفوذ الأموريّ، الذي كان يغطّي رقعه واسعة تمتدّ من غرب الفرات وتصل إلى جنوب كنعان، قبل أن يبرز الآراميّون في حاران وتُكنّى المدينة باسمهم ("فدان آرام"). وعندما هاجر إبراهيم إلى كنعان، كان من الطبيعيّ أن يسكن في بقعة جغرافيّة لها السمات الثقافيّة نفسها.

عندما ماتت سارة، كان إبراهيم يعيش في حبرون التي كانت منطقة حثّيّة، وكان الحثّيون يدعونه "رئيس من الله بيننا"، وعرضوا عليه أفضل قبورهم ليدفن سارة. لكنّ إبراهيم اشترى من أحد الحثّيّين، عفرون بين صوحر، مغارة المكفيلة (مع الحقل والبساتين) ودفن سارة فيها (تك ٢٣). ويقول النصّ:

"[١٧]فَوَجَبَ حَقْلُ عِفْرُونَ ٱلَّذِي فِي ٱلْمَكْفِيلَةِ ٱلَّتِي أَمَامَ مَمْرَا، ٱلْحَقْلُ وَٱلْمَغَارَةُ ٱلَّتِي فِيهِ، وَجَمِيعُ ٱلشَّجَرِ ٱلَّذِي فِي ٱلْحَقْلِ ٱلَّذِي فِي جَمِيعِ حُدُودِهِ حَوَالَيْهِ، [١٨]لِإِبْرَاهِيمَ مُلْكًا لَدَى عُيُونِ بَنِي حِثَّ، بَيْنَ جَمِيعِ ٱلدَّاخِلِينَ بَابَ مَدِينَتِهِ. [١٩]وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ ٱمْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ ٱلْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، ٱلَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، [٢٠]فَوَجَبَ ٱلْحَقْلُ وَٱلْمَغَارَةُ ٱلَّتِي فِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ مُلْكَ قَبْرٍ مِنْ عِنْدِ بَنِي حِثَّ" (تك ٢٣: ١٧–٢٠).

الجدير بالملاحظة أنّ منطقة ممرا، التي رأينا بأنّها منطقة أموريّة، هنا نراها منطقة حثّيّة. ربّما هذا يفسّر موضوع المعاهدة بين الأموريّين والحثّيّين الآنفة الذكر.

وإن كان حز ١٦: ٣ي الذي يجعل من أبي بني إسرائيل إبراهيم أموريًّا، ومن أمّهم سارة حثّيّة– تقليدًا تاريخيًّا، يكون النبيّ قد أشار إلى ما تكلّمنا عنه في سفر التكوين، وربّما إلى تقليد راسخ بين بني إسرائيل، أم يا تُرى هل يُشير حزقيّال إلى زواج لاهوتيّ أو سياسيّ؟

وما هو جدير بالملاحظة أيضًا هو أنّه يُشار أحيانًا إلى أرض كنعان كلّها بـ"بلاد الأموريّين" (يش ٧: ٧؛ ١ صم ٧: ١٤). إليكم في ما يلي خريطة تري الشعوب الساميّة القديمة وتجاورها:

كان لهذه الشعوب المجاورة لإسرائيل القديمة في كنعان تأثير على تكوين ديانة إسرائيل القديمة في الحقبة الممتدّة من قبل بداية الألف الثاني وحتّى بداية الألف الأوّل ق. م.

وبالختام، على الرغم من شيطنة الأموريّين في العهد القديم– ونعتقد أن هذه الشيطنة جاءت متأخّرة– كانت توجد لحمة بين الأموريّين وبني إسرائيل، وربّما توسّعت اللحمة لتشمل الحثّيّين عن طريق الأموريّين. ووصف التوراة لخروج بني إسرائيل الكثيف من مصر واستقرارهم في كنعان بعد إفراغها كلّيًّا من الشعوب الكنعانيّة، بمن فيهم الأموريّين، غير مقبول تاريخيًّا، وهذا ليس من اختراع العلماء بل يعتمد على النصوص البيبليّة نفسها مثل نهاية سفر يشوع وبداية القضاة وغيرها. و"أوريّا الحثّيّ" كان يحارب في جيش داود. ولا أحد يُنكر اليوم ما لديانات هذه الشعوب الكنعانيّة من تأثير على تكوين ديانة بني إسرائيل القديمة.

٢/٣. عناصر "فصحيّة" إسرائيليّة في التراث الدينيّ الأموريّ/الكنعانيّ القديم

١/٢/٣. زمن عيد الفصح عند الأموريّين

نفهم من نصّ خر ١٢: ٢، أنّ تأسيس الفصح في إسرائيل هو مناسبة للانتقال **الفجائيّ** من التقويم الزراعيّ إلى التقويم الطقسيّ الجديد. شهر أبيب (١٣: ٤) هو أوّل شهور السنة. واضح لنا أنّ تغيير التقويم هو إسقاط متأخّر في النصّ البيبليّ. في العاشر من الشهر، يؤخذ الحمل، ويوم ١٤/١٥ (بين العشاءين) يُذبح الخروف

ويُشوى (أو يُطبخ) ويؤكل مع الأعشاب المرّة وخبز الفطير. ويستمرّ أكل الخبز الفطير ستّة أيّام أخرى. في اليوم السابع، يكون عيد ويُقام احتفال طقسيّ للمناسبة (لا ٢٣: ٨؛ تث ١٦: ٨). إنّ زمن الفصح في ١٤/١٥ أبيب هو مثبت أيضًا في نصوص بيبليّة أخرى (لا ٢٣: ٥؛ عد ٩: ٣؛ ٢٨: ١٦؛ تث ١٦: ١؛ يش ٥: ١٠؛ عز ٦: ١٩؛ حز ٤٥: ٢١).

يبدأ شهر أبيب مع أوّل ظهور للقمر الجديد الأقرب إلى الاعتدال الربيعيّ. إنّ هذا التقويم الطقسيّ نجده أيضًا عند الأموريّين، حيث تبدأ سنتهم في بداية الربيع، مع ظهور القمر هلالاً. كان هذا في محيط يعتمد بأكثريّته السنة الزراعيّة التي تبدأ في الخريف، ثمّ صارت الشعوب تباعًا تُغير إلى التقويم الطقسيّ. كتب مارك كوهين (Mark Cohen) فيكتابه *The Cultic Calendars of the Ancient Near East* (**التقويم الطقسيّ في الشرق الأدنى القديم**) ما يلي:

"حتّى القرون الأخيرة من الألفيّة الأولى قبل الميلاد كان هناك اثنتان فقط من الحالات التي تُظهر بشكل معقول إمكانيّة اعتماد سنة جديدة أخرى غير تلك التي تبدأ في الربيع: الأولى سنة تبدأ في الانقلاب الصيفيّ، وكانت تعتمدها الدولة السرجونيّة، والأخرى سنة تبدأ في الاعتدال الخريفيّ اعتمدتها مدينة سيبار في مرحلة ما قبل بابل القديمة. وبصرف النظر عن هذا، فإنّ الأدلة تشير بأغلبيّة ساحقة، وفي معظم البلدان، على الربيع كبداية للسنة الجديدة"[٦].

وأضاف كوهين:

"وخلال منتصف الألفيّة الثالثة ق. م.، كان يُستخدم تقويم ساميّ قديم في معظم أنحاء شمال ووسط بلاد ما بين النهرين، ويشهد على ذلك ألواح من إيبلا، وماري، وGasur (في وقت لاحق نوزي)، وأبو صلابيخ، وEsnunna. وقد وصف Pettinato هذا التقويم كـ"التقويم الساميّ للألفيّة الثالثة"، مشيرًا إلى "أنّ هذه التسمية نبعت من أسماء الأشهر التي هي ساميّة، وبالنسبة إلى الجزء الأكبر ساميّة غربيّة، ومن انتشار هذا التقويم في جميع أنحاء الشرق الأدنى كلّه خلال الفترة من حوالى ٢٦٠٠–٢٢٠٠ ق. م. "قد يكون من المثير للدهشة أنّ أسماء الشهور في التقويم الساميّ القديم لا يحتوي على عناصر بأسماء الآلهة (theophoric)، ولكنّها

6 Mark E. Cohen, *The Cultic Calendars of the Ancient Near East*, Capital Decisions 1993, ISBN 1883053005 - 978-1883053000, p.14.

بدلاً منها دلالات زراعيّة في الطبيعة (بعض معاني أسماء الشهور: "الخراف"، "الحراثة"، أو "السمن")، وهي سمة مكّنت هذا التقويم الساميّ القديم ليكون تطبيقه في كلّ أنحاء العالم القديم. لكنّ هذا التقويم وقع، في نهاية المطاف، في الإهمال حول فترة أور الثالثة (حوالى ٢١٠٠)، عندما ظهرت في إيبلا وماري تقويمات محلّيّة، تعكس العبادات المحلّيّة، وحلّت محلّ هذا التقويم الساميّ القديم"[٧].

إنّ تسمية أشهر السنة بأسماء المواسم الزراعيّة لهو في غاية الأهمّيّة؛ فالتقويم المتأخّر في بلاد ما بين النهرين كان يستعمل أسماء الآلهة كأسماء للشهور، وقد اعتمد اليهود هذا التقويم خلال إقامتهم في المنطقة خلال السبي، مع الخريف كأوّل فصل في السنة– وبالتالي يقع رأس السنة المذكور في خبر تأسيس الفصح في سفر الخروج في الشهر السابع.

لكن في الحقبة الباكرة من العهد القديم، نرى الشهور مرقّمة وليس لها أسماء، والشهر الوحيد الذي له اسم هو شهر أبيب، وليس هذا اسم إله، ويُعتقد أن تكون له دلالة زراعيّة. "فسفرا الخروج والتثنية يشيران إلى شهر ربيعيّ (آذار–نيسان/مارس–أبريل) باسم "أبيب" (خر ١٣: ٤؛ ٢٣: ١٥؛ ٣٤: ١٨؛ تث ١٦: ١)، وهو شهر غير معروف في أيّ مصدر آخر.

نجد ذكرًا لشهر أبيب في أكثر من مكان في العهد القديم، ودائمًا في سياق الأعياد الربيعيّة: الفصح والفطير. ويأتي مرّة واحدة في شكل غير مألوف (خر ١٣: ٤) "حودش هاأبيب" (חֹדֶשׁ הָאָבִיב)، بينما الشكل المألوف هو "حودش أبيب" (חֹדֶשׁ אָבִיב)، ما يعطينا الإمكانيّة أن نرى في "هاأبيب" ليس اسمًا للشهر، بل دلالة إلى حدث زراعيّ أو زمنيّ من السنة؛ فصيغة "شهر أبيب" معروفة في كثير من الكتابات المسماريّة للحقبة البابليّة القديمة"[٨]. يظنّ بعض المترجمين أنّ الاسم يشير إلى اخضرار الشعير الذي يكون قد زُرع في الخريف، ويترجمونه "السنابل اليافعة". في الميشنا والعبريّة الحديثة، يعني الربيع. وليس للاسم شبيه مواز في أيّ من الثقافات الساميّة الأخرى، ما يؤكّد أنّه صفة لموسم زراعيّ تحول استعماليًّا إلى اسم علم.

أمّا بالنسبة إلى تسمية الشهور بأرقام اعتمدها العهد القديم في حقبة باكرة جدًّا، نجد هذه الطريقة عند الحثّيّين؛ "فالتقويم الحثّيّ الذي وُجد في النصوص المكتشفة

7 Mark E. Cohen, *op. cit.*, p. 8.

8 Mark Cohen, *op. cit.*, p. 385.

في Hattusa يعطي أشهر السنة أرقامًا وليس مناسبات دينيّة[9]." فهل هذا تأثير "ساره الحثّيّة"، زوجة إبراهيم الأموريّ؟ كتب كوهين:

"وعلى الرغم من عدم وجود دليل قاطع على أنّ التقويم [الطقسيّ] الجديد دخل الثقافة العبريّة بواسطة القبائل الأموريّة المهاجرة، فظهور تقويم جديد في الحقبة نفسها التي دخل فيها شعب سيطر على المنطقة يلمح إلى وجود علاقة بين الحدثين"[10].

وأضاف:

"وكان القرن الأخير من الألفيّة الثالثة ق. م. شهد بداية هجرة الأموريّين نحو وسط وجنوب بلاد ما بين النهرين، ما سبّب تغيير عدد من التقاويم مثلما حدث في ماري وسيبار حيث نجد إقحامًا لأسماء أموريّة في التقاويم المحلّيّة. وفي أماكن أخرى مثل Esnunna، استخدمت تقاويم متأثّرة كلّيًّا بالتقويم الأموريّ الذي، على ضوء حسابات نهاية السنة، كان يبدأ في الربيع"[11].

٢/٢/٢/. ذبيحة الأبكار والترتيب المتأخّر لفدائهم في إسرائيل وعند الأموريّين

إنّ حدث قتل الأبكار هو في قلب الاحتفال الفصحيّ بحسب نصّ الخروج المؤسّس للاحتفال. ونستنتج من النصّ نفسه أنّ الحكم الإلهيّ بموت الأبكار صدر، ليس فقط بحقّ المصريّين بل بحقّ العبرانيّين والمصريّين (أنظر خر ١٣: ١–١٦)؛ فالفصح، بحسب تفسير الخروج، هو "عبور" عن أبكار المصريّين (خر ١٢: ٢٧). إنّنا نرى في حدث قتل الأبكار في مصر وجهًا لعقيدة تكريس الأبكار للإله في معظم الحضارات الساميّة القديمة. وهنا يميّز يهوه العبرانيّين عن المصريّين في أنّه أوجد لهم وسيلة للفداء، وهي ذبيحة الفصح.

لقد سبق ورأينا أنّ تكريس الأبكار ليهوه تدبير قديم، قبل الفصح، ومنفصل عنه، وهناك نصوص تتكلّم عنه بمعزل عن سياق الفصح (أنظر خر ٣٤: ١٩–٢٠؛ لا

9 Daniel E. FLEMING, *Time at Emar: The Cultic Calendar & the Rituals from the Diviner's House* (Mesopotamian Civilizations 11), ISB Eisenbrauns, 2000, ISBN 978-1575060446 - 1575060442 pg. 230, note 107.

10 Mark Cohen, *op. cit.*, p. 12.

11 Mark Cohen, *op. cit.*, p. 17, 18.

٢٧: ٢٨–٢٩). إنّ موضوع فداء الأبكار في النصوص المشار إليها هو إسقاط متأخّر، لأنّ الشعوب السامية القديمة قد طبّقت ذبيحة الأبكار؛ فكلّ بكر من البشر والحيوانات والزرع كان يُقدَّم للإله. الأبكار من البشر والحيوانات كانوا يقدّمون ذبائح للإله. وتوجد تلاميح في العهد القديم إلى ذبائح الأبكار من البشر (أنظر لا ١٨: ٢١:؛ ٢٠: ٢–٣؛ تث ١٢: ٣١؛ ١٨: ١٠؛ ١ مل ١٦: ٣٤؛ ٢ مل ١٦: ٣؛ ٢١: ٦؛ حز ٢٠: ٢٦؛ قض ١١: ٣١؛ مي ٦: ٧؛ إر ١٩: ٣–٦؛ وذبيحة إسحق في تك ٢٢ تدخل في السياق نفسه).

لكن يبدو أنّ الإنسان القديم كان يحتاج إلى محاربين لمواجهة التحدّيات، فاستنبط موضوع فداء الأبكار بوسائط مختلفة (المال أو الذبيحة) ليحلّوا محلّ المحاربين الذين كانوا يُقتلون في الحروب. ترتيب فداء الأبكار قديم إذن، وقد ظهر في النصوص السومريّة؛ فالإله إيا (Ea) هو إله سومريّ قديم متخصّص بالبشر. وعند الأكّاديّين يُدعى إنكي (Enki) ومدينته إريدو (Eridu). وفي نصّ مرقّم "A1"، نجد تعليم الفداء أو البدليّة في تقديم حمل كذبيحة للإله إيا. ونقرأ في نصّ مسماريّ قديم:

"تكلّم إلى الرجل الحكيم: حَمَلٌ هو بدل عن الرجل، يعطي حَمَلاً بدلاً عن حياته، يعطي رأس الحَمَل بدلاً عن رأس الرجل. يعطي رقبة الحَمَل بدلاً عن رقبة الرجل، يعطي صدر الحَمَل بدلاً عن صدر الرجل"[١٢].

في إسرائيل، استُعيض عن تقديم الأبكار ليهوه بالفداء بالمال أو بالذبيحة على الرغم من أنّ اختيار سبط لاوي للكهنوت كانت بمثابة فداء أبكار الأسباط الأخرى؛ ففي الأصل، ذبيحة الفصح ذبيحة عائليّة تُقدَّم في البيت. لكن منذ إصلاح يوشيّا أصبح محظَّرًا الذبح إلاّ في الهيكل، وأصبح فداء البكر يُقدّم في الهيكل (تث ١٦: ١–٦؛ ٢ مل ٢٢–٢٣). وكانت هذه وسيلة لزيادة دخل الهيكل ومؤسّسة الكهنة. ويرى بعض علماء الكتاب المقدّس أنّ الفصح هو إعادة قراءة لعيد تكريس الأبكار[١٣].

يأتي تقليد تكريس الأبكار عند الأموريّين في إطار عبادة الإله "داغان". على الرغم من أنّ الأدبيّات البيبليّة تصوّر إله الفلسطيّين، داغان، بهيئة سمكة، غير أنّ التراث الدينيّ الساميّ القديم يقدّم لنا الإله داغان كإله زراعيّ؛ فكلمة "داغان" تعني

12 Robert William Rogers, *Cuneiform Parallels to the Old Testament*, Oxford University Press 1912, p. 195.

13 "Paschal Lamb", in *Universal Jewish Encyclopedia*, 1942, Vol. 8, p. 406.

"الحبوب" في كلّ اللغات الساميّة، وتصوير هذا الإله بصورة سمكة هو ابتداع رَابّي يهوديّ متأخّر.

كتبت كاثرين قنّا ياهو: يدخل الاسم "داغان" في تركيب الأسماء الدينيّة الأموريّة في ممالك متعدّدة. في قانون حمورابي، يكتب حمورابي نفسه على أنّه "جنديّ داغان". ظهر داغان أوّلاً في ماري، وهي حاضرة أموريّة، سنة ٢٥٠٠ ق. م.، ثمّ سنة ٢٣٠٠ في إيبلا، وسنة ١٣٠٠ في أوغاريت. يعطي حمورابي الفضل لداغان في تمكّنه من السيطرة على ضفاف الفرات، ويدعوه "خالقه". اكتشف في ماري عدد من الأسماء المركّبة لأشخاص مع الاسم "داغان". وجدت معابد لداغان في أربع مدن أموريّة: ماري، وإيبلا، وإيمار، وأوغاريت. كان داغان رئيس مجمع الآلهة في إيبلا، وأحد أبوابها الأربعة مسمّى على اسمه. هو رئيس الآلهة في إيمار، حيث كان يقام له احتفال شبيه بالفصح. وانتشرت عبادة داغان من الشرق إلى الغرب وصولاً إلى سوريا وكنعان.

وفي زمن النصوص الأوغاريتيّة، كان داغان جديدًا في المشهد الدينيّ، وهو غير بارز في هذه النصوص، لكن يوجد له معبد في المدينة. اتخذه الفلسطيّون إلهًا وصار إله مدينة أشدود، وله معابد في مدن الفلسطيّين الخمسة[١٤].

"إنّ البانثيون (مجمع الآلهة) الذي يضمّ سبعين إلهًا هو خصوصيّة سوريا القديمة؛ فهو مذكور في ميثوس بعل الأوغاريتيّة كأولاد عشيرة السبعين (KTU 1.4 VI:46)"[١٥]. إنّ "السبعين إلهًا" ليست هي فكرة تقترب من ميثوس الأولاد المولودين للإلهة الكنعانيّة عشيرة وإيل فحسب، بل على علاقة بالتراث البيبليّ، فـ تث ٣٢: ٨ تقول: "حِينَ قَسَمَ ٱلْعَلِيُّ لِلْأُمَمِ، حِينَ فَرَّقَ بَنِي آدَمَ، نَصَبَ تُخُومًا لِشُعُوبٍ حَسَبَ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وفي خر ١: ٥ نجد أنّ عدد بني إسرائيل الذين نزلوا إلى مصر هو سبعون نفسًا. و"بني يسرائيل" في النصّ الماسوراتيّ مترجمة إلى آراميّة الترجوم "بني إلوهيم"، أي بنو الآلهة؛ وهكذا في السبعينيّة وفي نصّ قمران[١٦]. إنّ هذا التشابه بين "السبعين إلهًا" في التراث الدينيّ للشرق الأدنى القديم، والتراث الإسرائيليّ، وخاصّة في الترجوم والسبعينيّة وقمران، ليس هو عرضيًّا.

14 Kathryn Qanna Yahu, "Origins of Pesach", in http://www.lebtahor.com/Observe/origins/origins%20of%20pesach%20passover.htm retrieved January 12, 2015.

15 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 57, note 29.

16 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 57, note 59.

وقد أخذ التراث الدينيّ اليهوديّ بهذا الأمر، فجعل إسرائيل يتمثّل بالسبعين شيخًا الذين صعدوا مع موسى وهرون إلى يهوه على الجبل (خر ٢٤: ١).

زوكرو وداغان

في كتابه الزمن في إيمار–وإيمار مدينة أموريّة تقع على ضفة الفرات الغربيّة في شمال شرق سوريا، وهي اليوم "تل مسكنة" في محافظة حلب– يقدّم لنا دانيّال فليمنغ (Daniel Fleming) نصوصًا طقسيّة تُعنى باحتفال "زوكرو"، وفيها عدد من السمات والأسماء التي تتكلّم عن داغان كإله الخصب: داغان ربّ الزرع، ربّ الخصب، داغان ربّ الأبكار، داغان ربّ الخليقة. ثم يُعلمنا فْليمِنْغ، في ملاحظة مرجعيّ، بأنّ حجر قلعة حلب عليه كتابة تفيد بأنّ داغان هو أبو الآلهة. وفي الملاحظة نفسها يقول بأنّ نصّ ماري، المدينة الأموريّة (Mari [Amorite city] text A. 1258+ :9) يدعو داغان "الجبل العظيم، أبو الآلهة"[١٧].

كان من الطبيعيّ أن يستبدل بنو إسرائيل الإله داغان بيهوه خلال إعادة قراءتهم للنصوص الأموريّة وتطويعها لتنسجم مع ديانة بني إسرائيل "التوحيديّة". ويهوه بدايةً إله صحراويّ بدويّ ورعويّ، عُدِّلت صورته ليصبح إلهًا زراعيًّا عندما استقرّ بنو إسرائيل في الأرض. وأُبقيت صورة الإله داغان وطُوِّعت لتناسب ديانة "شعب البحر" المعادي.

٣/٢/٢. احتفال "زوكرو" الأموريّ صورة قديمة عن الفصح الإسرائيليّ

في سياق كلامه عن الكتابات المكتشفة في إيمار، كتب دانيّال فْليمِنْغ: "حتّى في احتفال زوكرو الذي يحظى برعاية ملكيّة، يُحتفل بداغان ليس كـ"ملك الآلهة" بل كوالدهم"[١٨]. إنّ هذه السمة "أبو الآلهة" تقترب من معلومة أخرى، أو قد تكون وجهًا آخر لها، وهي أنّ نصّ احتفال زوكرو في إيمار يُفيد بأنّ عدد الآلهة يبلغ سبعين إلهًا، تمامًا كعدد أبناء إيل وعشيرة في أوغاريت[١٩]. ويُضيف فْليمِنْغ:

"إنّ مجموعة من المراجع في رسالة من ماري تبيّن أنّ احتفال زوكرو في إيمار يأتي من تقاليد دينيّة أقدم وأكثر انتشارًا، لأنّ لوح ماري ليس نصًّا طقوسيًّا، ولا بدّ

17 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 90, note 178.

18 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 91.

19 Kathryn Qanna Yahu, "Origins of Pesach", in http://www.lebtahor.com/Observe/origins/origins%20of%20pesach%20passover.htm retrieved January 12, 2015.

من أن تكون المعلومات عن زوكرو فيه قليلة؛ ولكن حتّى التفاصيل الشحيحة التي وجدت هناك توفر لنا نقاطًا فيها تشابه واختلاف. يجب أن تكون هناك ممارسة دينيّة كبيرة، تمارس في مدن سوريا القديمة، هي قادرة على تفسير هذا التنوّع والتركيز على مجموعة صغيرة من القواسم المشتركة التي حقّقتها المقارنة. جميع الأدلّة تشير إلى أنّ احتفال زوكرو هو طقس بارز وعامّ كان يُقدَّم إلى الإله الرئيسيّ لكلّ منطقة حيث كان يمارس ذلك الاحتفال"[٢٠].

ويُضيف فْلِيمِنْغ:

"تحت التعبيرات المستخدمة في احتفالات زوكرو، والمختلفة جدًّا تبعًا لاختلاف ظروف ممارستها في مختلف الأماكن، هناك مصطلح مع الفعل أعطى ([nadanu[m) يُستخدم باستمرار، ما يشير إلى أنّنا نتعامل مع الاحتفال الطقسيّ نفسه الذي استمرّت ممارسته عبر الزمن. إنّ التوصل إلى نتيجة مفادها أنّ الطقس زوكرو نفسه هو مشترك بين نصوص ماري وإيمار يعتمد في النهاية على معنى الكلمة نفسها وتقييمها في سياقَي ممارسة الطقس[٢١].

وعن معنى كلمة "زوكرو"، كتب فْلِيمِنْغ:

الأقرب إلى القبول هو أنّ كلمة "زوكرو" مشتقّة من الجذر الثلاثيّ الساميّ "ز ك ر"، ويعني فعل "سمّى" أو "ذكر" أو "تذكّر". وبناء على هذه الإيتومولوجيّة لـ"زوكرو، من المحتمل أن يكون اسمًا مصدريًّا في مقام مضاف إليه لـ"تقدمة" [كأن يُقال "تقدمة الذكر"] أو رفع دعاء إلى الآلهة"[٢٢].

كيف تتجسّد هذه المعاني في ممارسة طقس زوكرو، ويجيب فْلِيمِنْغ على هذا السؤال:

"الفعل "زكرو" يعني أوّلاً وقبل كلّ شيء "سمّى". عندما يُسمّي المصلّون اسم إله، فهم يعترفون بسلطته، ويستجدون حضور الإله على أمل الحصول على بعض الفوائد. وبشكل عامّ، لا يؤسّس هذا العمل لعلاقة [بين المصلّين والإله]، ولكن يفترض وجود علاقة. في ممارسَتي زوكرو [في ماري وفي إيمار]، يُوجَّه كلام الطقس

20 Daniel Fleming, *op. cit.*, pp. 98. 99.

21 Daniel Fleming, *op. cit.*, pp. 122, 123.

22 Daniel Fleming, *op. cit.*, pp. 122, 123.

إلى الإله الرئيس من قبل الجماعة المصلّية كلّها. وفي طقس إيمار، يجب أن يكون الكلام قد وُجّه إلى داغان، وهي صلاة من أجل تجدّد العلاقة بين الشعب والإله الذي يعود إليه الفضل في النهاية لبقائهم كجماعة"[٢٣].

إنّ سمة التذكّر هي أيضًا جزء من الاحتفال الفصحيّ الإسرائيليّ كما هو معبّر عنه في خر ١٢: ١٤: "وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا ٱلْيَوْمُ تَذْكَارًا (عب، זִכָּרוֹן)، فَتُعَيِّدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً" (أنظر أيضًا خر ١٢: ٢٤–٢٧). نجد في خر ١٢: ٢٧، كيف انتقل المحرّر من احتفال "الذكر" إلى معناه الجديد: العبور أي "الفصح": "أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ ٱلَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ لَمَّا ضَرَبَ ٱلْمِصْرِيِّينَ وَخَلَّصَ بُيُوتَنَا".

هناك عبارة يستخدمها العهد القديم للتعبير عن فعل العبادة: "دعا باسم يهوه" (וַיִּקְרָא בְּשֵׁם יְהוָה:؛ أنظر تك ٤: ٢٦؛ ١٢: ٨؛ ١٣: ٤؛ ٢١: ٣٣؛ ٢٦: ٢٥)؛ فلعلّ في هذه العبارة احتفال زكرو بأبسط أوجهه وأقدمها.

وبشأن زمن الاحتفال بطقس زوكرو الأموريّ، يُفيدنا فْليمنْغ أنّه، بين كلّ الألواح المكتشفة في إيمار، "يوجد نصّ واحد (Emar 373) يتكلّم عن مناسبة واحدة هي احتفال زوكرو (إيزين السومريّ)، الذي كان يُحتفل به لمدّة سبعة أيّام كلّ سبع سنوات عند اكتمال القمر في شهر يُدعى "رأس السنة" (sag.mu)"[٢٤] "...وبواسطة لائحة طويلة عليها أسماء الآلهة وتسبقها ممقدّمة تقول: "لأجل احتفالات أيّام زوكرو السبعة كانوا يخدمون آلهة إيمار كلّهم". كانت تبدأ هذه المدرة في الخامس عشر من "ساغمو" [شهر رأس السنة] كما هو مدوَّن في السطر ٤٤[٢٥]".

هذا الاحتفال، الذي ابتُدئ بإقامته مرّة كلّ سبع سنوات، صار يُحتفل به كلّ سنة. "إنّ التوسّع في احتفاليّة زوكرو الأساسيّ، بحيث أصبح احتفالاً يستغرق سبعة أيّام، يمثّل التعزيز الأوّل لتأثيره عن طريق تمديد مدّته". وأضاف: "إذا كانت طريقتان رئيسيّتان لاحتفال زوكرو قد بقيتا على قيد الحياة في أرشيف إيمار، فهما مميّزتان أوّلاً وقبل كلّ شيء بزمنهما. ولا يظهر النصّ الأقصر أيّ تلميح إلى الاحتفال به دون التقيّد بالدورة السنويّة. إنّ كلّ جانب من جوانب زوكرو السنويّ يشير إلى وجود

23 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 124.
24 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 9.
25 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 69.

احتفاليّة أكثر بساطة، وبعض العناصر من توسّع الاحتفال الذي افترضته في احتفال السبع سنوات هي مؤكّدة بفعل غيابها عن نصّ زوكرو الأقصر. إنّ التعرّف على تقليد زوكرو الأساسيّ في إيمار يعتمد على تقطير [وتصفية] اثنتين من طرق ممارسته المختلفة لكي يبقى فقط ما ينتمي إلى الكلتيهما"[٢٦]. ويرى فْلِيمِنْغ أنّه "خارج إيمار، فنصوص من سوريا تعرض حدث الأيّام السبعة في مجموعة متنوّعة من الطقوس والروايات؛ فرسائل ماري تذكر عيد الأيّام السبع في معبد داغان"[٢٧].

٤/٢/٢. تقدمة زوكرو للإله داغان في معبده، صورة لتقدمة الفصح ليهوه في هيكله

بعد أن درسنا تراث الإله داغان في الشرق الأدنى القديم، وبعد أن درسنا تقدمة الزوكرو بين الأموريّين، ندرس الآن علاقة داغان بزوكرو وضرورة إقامة الاحتفال في هيكله.

كتب فْلِيمِنْغ:

"إنّ كلاً من زوكرو ماري وزوكرو إيمار هما شعيرتان دينيّتان عامّتان للجماعة كلّها، لكن فقط في إيمار، تدخل المناسبة في الدورة العاديّة لتقويم طقسيّ. في إيمار، توجّه الصلوات إلى داغان، ليس من أجل حاجة موسميّة متعلّقة بالزراعة أو تربية المواشي، لكن من أجل غرض يكشف عن هويّة المدينة نفسها. جمهور الشعب كلّه يأتي بتمثال إلههم الرئيس إلى خارج المدينة ويضعونه في مزار من حجارة بحضور كلّ آلهة البانثيون ويوجّهون إليه الدعاء. قد تكون لهذا الخطاب المقدّس نكهة معيّنة، لكنّ شموليّة الشعيرة العامّة ومركزيّتها تشيران إلى أنّ ذلك ينطوي على الإقرار الكاسح بعلاقة داغان بالمدينة وطلب حضوره ورعايته"[٢٨].

"هذا الإجراء الروائيّ (الذي يشمل مدار الأرض) يضيف إلى الشعور لدينا الذي استقيناه من كلا النسختين، أنّ زوكرو احتفى بعلاقة أساسيّة بين شعب إيمار وداغان، الذي تعبده كإلهها الأساسيّ وراعيها النهائيّ". "في شكله البسيط، كان لا يزال زوكرو تقدمة من قِبَل إيمار لداغان، وكان مزار حجارة sikkanu دائمًا مركز إقامة هذه الشعيرة، المكان حيث تجمع الإلهيّ والبشريّ حول الإله الذي، في النصّ

26 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 98.
27 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 74.
28 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 126.

الأقصر، يُدعى رئيس الزكرو"[٢٩].

٢/٢/٥. داغان إله الأبكار

"كلّ اسم لداغان في لوائح التقدمات السابق ذكرها أعلاه يجب أن يمثّل مزارًا مستقلاً فيه صورة أو مجسّم يمثّل الإله. في شكله الاحتفاليّ، الزوكرو هو مخصّص لداغان تحت أسمائه الخاصّة التالية: "ربّ الأبكار (en bu-ka-ri). ومقدّمة القسم الثاني من الطقس تستعمل هذا اللقب: "عندما يعطي أبناء إيمار احتفال الزوكرو لداغان ربّ الأبكار في السنة السابعة... هذا هو اسمه الذي يُزيَّح به". هو ربّ الأبكار من البشر والحيوان؛ فبحسب السطر ٤٨ من احتفال الزوكرو، عدد من العجول وصغار الضأن، من الغنم والماعز، تسير قدّام داغان في الزيّاح. "لقد تقبّل داغان عجلاً فتيًّا نظرًا للقبه الاحتفاليّ الخاصّ، "ربّ النسل" (bel bukari, line 41)[٣٠]. و"الخراف محدّد في السطر ٣٩ على أنّه حمل (udu.sila)"[٣١].

٢/٢/٦. داغان إله البذار

يبدو أنّ التركيز على الزرع (planting)، بحسب النصّ، يبدأ في اليوم الخامس عشر نفسه [اليوم الذي تُقدّم فيه ذبيحة الزوكرو] ويستمرّ لستّة أشهر، عندما يرمي الزارع البذار بعد أن يخصّ داغان بتقدمة بصفته "ربّ البذار" (be-el numun)"[٣٢].

"إنّ لقب داغان "ربّ البذار" يمثّل الخصب الذي تحتاجه حقول الحبوب، فهي الغذاء الأساسيّ. يُظهر لنا هذا اللقب علاقة داغان بالحبوب في زمن مبكّر، هذه العلاقة التي يمكن أن نتحسّسها في المعنى العبريّ لكلمة "داغان"[٣٣].

٢/٢/٧. عزل الذبيحة الطاهرة

"يحدّد احتفال الزوكرو أنّ الذبيحة يجب أن تكون من البقر أو من الحملان (amar/buru and sila/puhadu). وبحسب نصوص الزوكرو، يجب أن يُفصل حيوان الذبيحة يومًا واحدًا قبل تقديمه. إنّ كلمة بَأدو (pa'adu) هي

29 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 109.
30 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 57, note 28.
31 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 57, note 29.
32 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 103 and note 236.
33 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 158.

مستخدمة لتعبّر عن هذا الفصل، وهي مستخدمة في نصوص ماري أيضًا لتعبّر عن العزل"[٣٤]. ويفيد فْلِيمِنْغ أنّ هدف فصل الحيوان وعزله هذا هو على الأرجح بهدف الطهارة؛ "فالحيوانات المطهّرة، خاصّة الفتيّة، هي التي تؤمّن التقدمات للزوكرو ومستلزماته"، وهذا تماثل مهمّ بين الفصح والزوكرو الأموريّ؛ فـ خر ١٢: ٣–٦ يتكلّم عن عزل الحيوان خلال الفترة بين اليوم العاشر واليوم الرابع عشر/الخامس عشر من الشهر حين يُذبح.

تماثل آخر هو أنّ ذبيحة الفصح يجب أن تكون "صحيحة" (خر ١٢: ٥)، من الضأن أم من البقر. واحتفال الزوكرو، في السطر السابع، يُفيد بأنّ الحمل يجب أن يكون طاهرًا[٣٥]. وفي السطر ١٨٣ ورد بأنّهم أطلقوا العجول والحملان الطاهرة[٣٦].

٨/٢/٢. ذبيحة قبل المساء

يُفيد نصّ الزوكرو أنّه بعد تقديم الذبيحة، وتناول بعض الأطعمة والشراب، يدهنون الحجارة المنتصبة بالزيت والدم. ثمّ، قبل المساء، يُرجعون الآلهة وينصبونها في المدينة. يُقدّمون ذبيحة أخرى ويحرقون لجميع الآلهة، ثمّ يأخذون أرغفة الشعير المهروس، والخبز والمشروبات ويعودون مرّة أخرى إلى المدينة[٣٧]. نجد في خر ١٢: ٦–١١، ربّما ليس الصورة نفسها، لكن صورة عن الفصح مشابهة جدًّا لهذه الممارسة الدينيّة. فانتقال العابدين بين المعبد وأبواب المدينة، يستدعي أن يكونا مرتدين ثياب السفر، وأحذيتهم في أرجلهم، وعصيُّهم في أيديهم، تمامًا كما هو موصوف في نصّ الخروج عن الفصح.

إنّ جانبًا آخر من هذا الاحتفال المسائيّ ينطوي على ضرورة استهلاك الذبيحة قبل شروق الشمس. في حين أنّ نصوص إيمار ليست كاملة ومجتزأة في أماكن عدّة بسبب تكسّر الألواح، وليس لدينا، للأسف، كلّ التفاصيل، لكن هناك مسألة أخرى قد تساعد على تفسير هذا المبدأ، سواء كان ذُكِر ذلك أم لا. وهذا ينطوي على داغان، الذي هو المعبود الرئيسيّ لهذا الاحتفال. داغان هو إله سفليّ، يعني أنّه يعيش في عالم سفليّ في الأرض أو تحتها. وهذا لا ينطبق فقط على آلهة العالم السفليّ، ولكن

34 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 61.

35 Daniel Fleming, *op. cit.*, p. 235.

36 Time at Emar, pg. 249.

37 Kathryn Qanna YAHU, "Origins of Pesach", in http://www.lebtahor.com/Observe/origins/origins%20of%20pesach%20passover.htm retrieved January 12, 2015.

على آلهة تظهر على الأرض؛ فإله الزرع، كما هو داغان، إله سفليّ كونه يُخصب البذار في الأرض. ولذلك، فإنّ إلهة أوغاريت الكنعانيّة "شِمِش" هي إلهة سفليّة لأنّ الشمس، على ما يعتقدون، عندما تغيب تسافر إلى أرض الموتى وتعبرها قبل أن تطلع من جديد في الصباح؛ فداغان، بحسب ألواح ماري، وهي مدينة أموريّة، مسمّى: "إله الزروع" (Bel-pagre)، ما يُظهر سمته السفليّة كونه يتعاطى بتخصيب البذار في باطن الأرض[٣٨].

نصّ الخروج يُفيد بأنّ ذبيحة الفصح مقدّمة للإله يهوه. غير أنّ هذا الإله هو إله سماويّ، أي يسكن في السماء ويعمل من فوق. في كتابه **ديانة إسرائيل القديمة**، يُقارن زيوني زڤيت (Ziony Zevit) بين الذبائح التي تُقدم للآلهة السفليّة وتلك التي تُقدَّم للآلهة السماويّة، ويضع أمامنا هذه النتائج[٣٩]:

١ . الحيوانات التي تُقدَّم لإله سماويّ تذبح ووجهها إلى العلاء، بينما تلك التي تُذبح لإله سفليّ، تُذبح ووجهها إلى الأرض.

٢ . يتمّ الذبح للإله السماويّ على مذبح عالٍ مبنيّ من حجارة يُدعى نُصب، بينما للإله السفليّ يتمّ الذبح على الأرض أو على صخرة قليلة الارتفاع.

٣ . يُعبد الآلهة السماويّون في هياكل مبنيّة على المرتفعات، يصعد إليها العابدون على سلالم، بينما يُعبد الآلهة السفليّون في الكهوف والأماكن المظلمة.

٤ . تُقدّم الذبائح للآلهة السماويّين خلال النهار ويجب أن تؤكل الذبيحة أو تُحرق قبل غياب الشمس، بينما للآلهة السفليّين يتمّ الذبح مساء ويجب أن يُستهلك اللحم وأن يُحرق ليلاً وقبل طلوع الشمس.

٥ . الذبيحة المقدّمة للإله السفليّ لا تكون من أجل العبادة، كما للإله السماويّ، بل من أجل الحماية من خطر مداهم أو من أجل الحصول على أحلام جيّدة.

إذا تفحّصنا ذبيحة الفصح في نصّ الخروج نجد أنّها تلتقي مع أوصاف الذبيحة المقدمة لإله سفليّ في عدّة أمور: (١) الذبح في المساء، (٢) الذبح في البيت وليس

38 Robert Stieglitz, "Essay on the Ebla Archives", in Cyrus Gordon and Gary Rendsburg (Eds), *Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language*, Vol. 2, Eisenbrauns, 1990, p. 84.

39 Ziony Zevit, *The Religions of Ancient Israel. A Synthesis of Parallactic Approaches, Continuum*, London: Blumsbury Publishing, 2001, pp. 280-281.

في هيكل، (٣) يجب أن تُؤكل الذبيحة قبل الصباح، (٤) الذبح على الأرض وليس على المذبح، (٥) لا تقديم الذبيحة من أجل الخطر المداهم على أبكار الإسرائيليّين. هذا يوصلنا إلى استنتاج أنّ الذبيحة هي أصلاً ليست ليهوه، الذي هو إله سماويّ، بل لإله سفليّ، وهو داغان، كما رأينا أعلاه.

٩/٢/٢. رشّ الدم على قائمتي الباب

في إيمار، وخلال احتفال الزوكرو الربيعيّ، بعد الأكل والشرب، كانوا يدهنون مزارات الآلهة كلّها في أبواب المدينة بشحم الأضاحي ودمها. يتماثل هذا مع ما جاء في خر ١٢: ٧ بالنسبة إلى لفصح الإسرائيليّ.

كتب إي. أو. جيمس (E. O. James) في كتابه **الآلهة القديمة**:

"عدد من بيوت الآباء كانت تحتوى على مزارات للآلهة التي يعبدونها ضمن حرم المنزل...؛ فإنّ هذا تقليد آبائيّ، له أبعاد عبادة الأسلاف؛ فالممارسة الأصليّة لاحتفال الزوكرو يمكن أن يكون طرأ عليها تغييرات بواسطة محرّرين متأخّرين، فأشاروا إلى منازل العائلات وليس إلى المعابد التي كانت في حرمها".

وأضاف:

"إنّ رشّ الدم على العتبة العليا وقوائم أبواب البيوت حيث من المفترض أن يكون بنو إسرائيل الهائمين أغلقوا على أنفسهم فيها، يبدو أنّه إضافة متأخرّة مستوحاة من ممارسة تلطيخ البيوت بالدم كوسيلة للحماية ولطرد الأرواح الشريرة. من الواضح أن ليس لهذ الطقس أيّة علاقة بالاحتفال الفصحيّ على نحوه الحاليّ والمعاني المعطاة له غير متناسقة لأنّه يوجد لغط بين يهوه والقاتل. علاوة على ذلك، ليس واضحًا إذا كان [الدم المرشوش] علامة لنبيّ إسرائيل أم للملاك! وكما أشار بوخنان غراي (Buchanan Gray): "إمّا المقصود بالقصّة تصحيح مفهوم شعبيّ عن يهوه، أو لمواجهة الاعتراف الشعبيّة بقوى إلهيّة أخرى غير يهوه". وعلى أيّة حال، فإنّ وظيفة شعيرة الدم الفصحيّ للحماية من خطر محدّق هو أمر يكاد لا يُشك فيه"[٤٠].

في الوقت الذي كتب فيه جيمس هذا، كان التنقيب عن ألواح إيمار واحتفال الزوكرو لم تبدأ بعد.

40 E. O. James, op. cit., p. 149.

"يعتقد كثير من الباحثين أنّ الفصح قد يكون في الأصل طقس تمارسه العائلة من أجل حمايتها من الأوبئة. ويؤسّسون وجهة نظرهم على طقوس رشّ عتبة الباب والقائمتين بالدم، ونتيجة لذلك كان يعتقد أنّ هذا يُحفز التواصل الوثيق مع الإله الحامي؛ فمن الممكن تمامًا أنّ طقسًا دينيًّا مماثلاً، يعود إلى ما قبل الحقبة الكنعانيّة، يحتوي أيضًا على عناصر من طقوس أخرى، يكون قد اندمج مع شعيرة الأبكار الأصليّة"[٤١].

في احتفال الزوكرو، يتمّ تقديم نوعين مختلفين من الخبز إلى جانب النبيذ للآلهة وللشعب كجزء من الاحتفال. هناك خبز الشعير والخبز المهروس. ليس لدينا أيّ طريقة لمعرفة إذا كان أحد الصنفين مصنوعًا خصّيصًا من دون خميرة ليمكن ربطه مع عيد الفطير، الذي اندمج مع عيد الفصح.

١٠/٢/٢. الربط بعيد الفطير في تاريخ لاحق

كتب وليم ديفر (William Dever):

"من المحتمل أن تعود أصول الفصح إلى عيد رعويّ قديم في كنعان، يُحتفل به في الربيع. تميّز بتقديم ذبائح من الحملان الصغيرة. في إسرائيل، الفصح (أصل الكلمة ربّما "حماية") دُمج مع عيد الفطر القديم، ثم أُعطي طابعًا تاريخيًّا من خلال وضعه في علاقة مع تقاليد عيد الفصح في مصر، عندما نجّى ملاك الموت أبكار بني إسرائيل من الموت بسبب دم الحمل المرشوش على مداخل البيوت"[٤٢].

تربط النصوص البيبليّة الفصحّية الفصح بعيد الفطير (أنظر خاصّة خر ١٢: ١–١١؛ تث ١٦: ١–٦). لكن في مواضع أخرى، تتعامل معهما النصوص كعيدين متميّزين (أنظر لا ٢٣). نستطيع أن نستنتج من طريقة ممارسة عيد الفطير أنّ الشعوب الساميّة الزراعيّة القديمة كانت تحتفل بأوّل حصدة شعير، للموسم الجديد، فيُعدّون الخبز منه على عجل دون استخدام خميرة السنة المنصرمة المصنوعة بالتأكيد من حصاد قديم. رأينا في نصوص إيمار وماري أنّ ممارسة أكل خبز الشعير مع ذبيحة الزوكرو وشرب النبيذ عادة قديمة. ما يجعلنا نعتقد بأنّ عيد الفطير وعيد الفصح قد توحّدا قبل تبنّيهما من قِبَل بني إسرائيل وإعادة قراءتهما ووضعهما في إطار ضرب

41 *The Universal Jewish Encyclopaedia*, 1942, Vol., 8, p. 409.

42 William Dever, *Did God Have a Wife: Archaeology and Folk Religion in Ancient*, Eerdmans, 2008, p. 108.

أبكار المصريّين ونجاة أبكار بني إسرائيل وهربهم من مصر وعجينهم لم يختمر بعد.

الخلاصة: نقاط المقارنة الختاميّة بين عيد الفصح والزوكرو الأموريّ

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أنّنا لا ننتظر من مقارنة طقسين يفصل بينهما مئات السنين أن يتماثلا في جميع التفاصيل، فلا شيء يبقى على حاله في المدى الطويل.

كانت واحدة من الاختلافات في بين طريقتين للاحتفال بالزوكرو الآموريّ هي حلقة السبع سنوات وحلقة السنة؛ فبحسب بعض النصوص، كان يُحتفل به مرّة كلّ سبع سنوات، بينما بحسب نصوص أخرى، كان يُحتفل به كلّ سنة. نتفهّم إذًا أنّ عيد الفصح عند بني إسرائيل عيد سنويّ؛ فقد تكون الأمور قد اختلفت عندما أُخرج من سياقه الأموريّ الكنعانيّ ووضع في السياق اليهوديّ، وقد يكون التغيير قد جرى عندئذٍ؛ فالمسيحيّة عندما اعتمدت "الفصح" بمعناه المسيحيّ، جعلت الاحتفال به كلّ يوم أحد تحت مسمّى سرّ الإفخارستيّا، بل كلّ يوم، كما في بعض التقاليد المسيحيّة.

أمّا نقاط الاتفاق فهي التالية:

١ . "زوكرو" تعني "التذكر"، والفصح هو تذكار للأجيال.
٢ . الفصح والزوكرو عيدان يُحتفل بهما في بداية الربيع، في أوّل شهر في السنة وفي منتصف الشهر، عند اكتمال القمر، ولمدّة سبعة أيّام.
٣ . العيدان يتضمّنا ذبيحة جماعيّة.
٤ . الحيوانات التي تُقدم في العيدين الضأن والبقر، حمل أو جدي أو عجل صغير.
٥ . حيوان الذبيحة في العيدين يجب أن يكون صحيحًا طاهرًا وبلا عيب.
٦ . في العيدين تقليد ذبيحة الأبكار.
٧ . في العيدين، يجب أن يُعزل الحيوان قبل تقديمه من أجل مستلزمات الطهارة.
٨ . في العيدين يُرشّ دم الذبيحة على العتبة العليا وعلى قائمتي الأبواب.
٩ . العيدان لإله يطلبان الأبكار.
١٠ . في العيدين أكل خبز من قبل الجماعة العابدة.

الفصح إذن، كما هو مشروح في نصّ الخروج، قراءة متأخّرة لطقس من التراث الدينيّ القديم في حضارات الشرق الأدنى القديم. قام بهذه القراءة رسل ملهمون

بحسب إيمان بني إسرائيل، فوضعوه في قالب أدبيّ خاصّ بهم، مع الحفاظ، قدر الإمكان على الموروث الدينيّ القديم. لقد قاموا بعمليّة مزدوجة فيها القليل من التنسيق وثمّ التطويع. لقد قرأوا الطقس القديم في سياق جديد هو خروجهم من مصر، وطوعوا الطقس ليتناسب مع أفكارهم الدينيّة الجديدة دون أن يعرّوه تمامًا من سماته القديمة. وفي الطقس علامتان بارزتان:

فأبكارهم ليست إلاّ لإلههم يهوه؛ أوليسوا هم ابن يهوه البكر؟ وبينما يأخذ يهوه أبكار المصريّين عنوة– هي له وليست لآلهة المصريّين– يعفو عن أبكار بكره بذبيحة تعويضيّة، هذا هو السرّ الذي لم يُعطَ للمصريّين.

خبزهم فطير، لأنّهم دخلوا عامًا جديدًا أصبحوا أحرارًا منذ فاتحته. عجنوا قمحًا جديدًا ليس فيه شيء من القديم لأنّ تاريخهم القريب يتعلّق بعبوديّتهم في مصر. وليس لخبز العبوديّة أن يختلط مع خبز الحرّيّة. وسيُعيد يشوع الكرة، فيحتفل بالفصح في أرض كنعان ولن يكون في خبزه شيء من القفر الرهيب اللعين، ولا من مصر. وبلسان بولس: "الأشياء العتيقة قد مضت؛ هوّذا الكلّ قد صار جديدًا" (٢ كو ٥: ١٧).